حول دلالة «عَمْرُ» في القسم والدعاء في الشعر الجاهلي

للدكتور نصرت عبد الرحمن
(الجامعة الاردنية)

آراء سابقة

ترد عَمْر (بفتح العين وتسكين الميم) في بعض اساليب العربية فتفيد القسم او الدعاء : فقد وردت في الشعر الجاهلي ، وجاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى : « قالَ هؤلاء بناتي إن كُنْتُم فاعلين. لَعَمْرُكَ إنهم لفي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُون . فأخَذَتْهُم الصَّيْحَةُ مُشْرِقين »(١) ، واتت في الأدب الاسلامي شعره ونثره في القديم والحديث .

فما معنى عَمْر ؟

يقول الجوهري وابن منظور والزبيدي والفيروز ابادي من اصحاب المعجمات : « العمر بالفتح والضم وبضمتين : الحياة . يقال : قد طال عَمْره وعُمْره لغتان فصيحتان ، فاذا اقسموا قالوا : لَعَمْرُكَ ، فتحوا لا غير » (٢) .

ويتفق علماء التفسير مع اصحاب المعجمات في دلالة عَمْر ، ويرون ان (لَعَمْرُك) في الآية الكريمة تعني (حياتك) ، « فالعَمْر والعُمْر واحد غير انه لا يجوز في القسم الا بالفتح ؛ لان الفتح اخف عليهم ، وهم

(١) الحجر ٧١—٧٢ .

(٢) الصحاح ولسان العرب وتاج العروس والقاموس — مادة عمر .

يكثرون القسم بِلَعَمْري وعَمْرك ، فلزموا الأخفّ »(١) . واختلفوا في المقسود بالخطاب : اهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانه تعالى اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد غيره (في راي ابن عباس رضي الله عنه) ام هو لوط عليه السلام اي قالت له الملائكة : لعمرك .

ويذكر ابو الهيثم الرازي ان النحويين ينكرون قول المفسرين ، ويقولون : معنى لَعَمْرك : لدينك الذي تَعْمر(٢) . وينصرف ظني الى ما ذكره ابو الهيثم بانه من قبيل الراي الخاص الذي لا يستغرق جمهور النحويين : فقد ربط سيبويه في باب المصادر التي تنتصب باضمار الفعل المتروك اظهاره بين (عَمْرَكَ الله) و (عَمَّرْتُكَ الله)(٣) مما يومىء الى ان عمراً عنده بمعنى العُمْر . وربط المبرد بينهما ايضا(٤) ، وقال : « والمراد بالعَمْر التعمير ، فالمعنى اقسم بتعميرك الله اي باقرارك له بالدوام والبقاء »(٥) .

ونافي هذا ايضا عند ابي علي الفارسي(٦) والاخفش(٧) وابن الشجري . قال ابن الشجري : « والعُمْر بمعنى العُمُر مصدر قولهم عَمِر الرجل يَعْمَر اذا امتد بقاؤه ، ولكنهم لم يستعملوا في القسم الا المفتوح »(٨) .

---

(١) جامع البيان ١٤ : ٢٠ . وتفسير غرائب القرآن ١٤ : ٣٠ . والتفسير الكبير ١٩ : ٢٠٣ ، ومجمع البيان ١٤ : ٣٥ ، وتفسير التبيان ٦ : ٣٤٨ ، والكشاف ٢ : ٣٦٦ ، وجواهر الحسان ٢ : ٢٩٧ .

(٢) لسان العرب ، وتاج العروس — مادة عمر .

(٣) الكتاب ١ : ١٦٢ .

(٤) المقتضب ٢ : ٣٢٨ .

(٥) الامالي الشجرية ١ : ٣٤٩ .

(٦) نفسه ١ : ٣٤٩ .

(٧) لسان العرب وتاج العروس — مادة عمر .

(٨) الامالي الشجرية ١ : ٣٤٨ .

وجرى على هذا غيرهم من النحويين كالبغدادي وابن يعيش والسيوطي . قال البغدادي في اعراب بيت المتنخّل الهُذَليّ :

لَعَمْرُكَ ما إنْ ابو مالكٍ بوانٍ ولا بمصيبٍ ثُـواءْ

« عَمْرُكَ بالفتح بمعنى حياتك مبتدأ خبره محذوف اي قسمي(١) . وقال ابن يعيش : « والعَمْر والعُمْر : البقاء . تقول : بعَمْر الله »(٢) . وقال السيوطي : « عَمْرَكَ الله : من عَمِر الرجل بالكسر يَعْمَر ، وعمرًا بفتح العين وضمها : اي عاش زمانًا طويلاً »(٣) .

وثمة راي لابي العلاء المعريّ ساقه ابن الشجري في أماليه . وذكر انه أخذه من شرح ابي زكريا يحيى بن علي التبريزي لشعر ابي الطيب المتنبي . قال ابن الشجري : « وذهب ابو العلاء المعري في قولهم : عَمْرَكَ الله الى خلاف ما اجمع عليه أئمة النحويين : الخليل وسيبويه وابو الخطاب الاخفش الكبير وابو الحسن الاخفش الصغير وابو عثمان المازني وابو عمر الجَرْميّ وابو العباس محمد بن يزيد وابو اسحاق الزّجّاج وابو بكر بن السرّاج وابو علي الفارسي وابو سعيد السيرافي ، وغير هؤلاء من المتقدمين والمتأخرين ، فزعم ان العَمْر مأخوذ من قولهم : عمرتُ البيت الحرام اذا زرته . وقال : ومنه اشتقاق الاعتمار والعُمْرة ... قال : ويحتمل أن يكون عمرك مأخوذًا من عَمَرت الدار من العِمارة اي بعَمْرك المنازل المشرفة بذكر الله وعبادته »(٤) .

فنحن امام عدة آراء في دلالة عَمْر :

اولها : واشهرها أن عَمْرًا هي العُمْر .

وثانيها : أن عمرًا هي الدين .

---

(١) الخزانة ٤ : ١٤٧ .
(٢) شرح المفصل ١ : ١٢٠ .
(٣) شرح شواهد المغني ٨٨٤ .
(٤) الامالي الشجرية ١ : ٣٥٢ .

وثالثها : أن عُمْراً تعني الزيارة أو العمارة .

وعُمْرٌ في هذه الآراء جميعا مصدر .

٢

عمر بمعنى رَبٍّ

وما ادري لماذا انصرفت اذهان علمائنا الأفذاذ الى المصدر ولم تتوجه الى الصفة المشبهة ، فعمر من صيغ المصدر والصفة المشبهة ، وما دامت قد وردت في معرض القسم فقمين ترجيح الصفة على المصدر . وعُمْر في هذا التوجيه تدل على باق دائم مع الزمان .

اقول : لماذا انصرفت اذهان علمائنا الى المصدر ولم تحظ المعاني الكثيرة التي اوردها اصحاب المعجمات في مادة عمر بأي اهتمام ؟ اتراهم لا يجدون علاقة بين (لَعَمْرك) والعُمْر بالضم وهو المسجد والبيعة والكنيسة(١) أم لا يجدون صلة بين (عَمْر الله) والعمر بالضم والفتح وهو النخل السحوق الطويل ؟(٢) أم بين (لعمري) والدار المعمورة بالجن ؟(٣) .

واقول : ما دامت (عمر) وردت في معرض القسم (وقد تأتي في معرض الدعاء) فقمين ترجيح الصفة على المصدر ، وعمر في هذا التوجيه تدل على ربٍّ باق دائم مع الزمان ، وهذه صفة الباقي الدائم عند المسلم الموحد ، وصفة الارباب الذين لا يخترمهم الموت عند الجاهلين .

---

(١) تاج العروس ـ مادة عمر .

(٢) لسان العرب ـ مادة عمر .

(٣) لسان العرب ـ مادة عمر .

(٤) اقول : هي صفة من صفات الله عز وجل وليست من أسمائه تعالى ، ولذلك قال الزبيدي في تاج العروس : « والفضل البقاء على العمر وصف الله تعالى به ... وصف بالعُمْر » .

٣

عبد عمرو

عبد عمرو علم من اعلام الرجال في العصر الجاهلي . وهو علم لم يختصّ برجل كان عبداً لسيد اسمه عمرو ، وغير مقتصر على رجل في قبيلة او على رجال فيها ، بل هو علم يتردد في قبائل متعددة . وما ابتغي ان انقرّى من سُمّوا بعبد عمرو في الجاهلية ، وانما اروم ان يستذكر القارىء معي نفراً منهم عرضوا في دروس الادب والتاريخ : فنستذكر من قريش عبد عمرو بن صيفي النعمان(١) الذي عرف بأبي عامر الراهب ، وكان يناظر اهل الكتاب ويتتبع الرهبان ، ويكثر التطوس الى الشام . ونستذكر من قريش ايضا عبد عمرو من نضلة بن مالك بن سُليم بن غُبشان الذي اورده ابن حبيب في المنمق(٢) ، وعبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف الذي اورده ابن دريد في الاشتقاق(٣) .

ونستذكر من بكر عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد الذي اغفل اسمه في دروس الأدب بطرفة بن العبد ، اذ كان من ذوي قرابة طرفة ، وزوج اخته الخِرِنق في بعض الروايات ، وواحداً من جلساء عمرو بن هند ، وهو الذي اوقع بطرفة تلك الوقيعة التي اودت به ، واياه عنى طرفة إذ قال(٤) :

فيا عَجَباً من عبدِ عمرٍو وبَغيِهِ ... لقد رامَ ظُلْمي عبدُ عمرو فأعظما

ولا خيرَ فيه انّ له غِنًى ... وانّ له كَشْحاً إذا قامَ أهْضَما(٤)

يَظَلُّ نساءُ الحيِّ يَعْكُفْنَ حولَه ... يَثَنَّ عَسيباً من سَرارةِ يَلْمَلَما(٥)

---

(١) نسب قريش ٢٨١ ، والاشتقاق ٦٦ ، والفصل في تاريخ العرب ٨ : ٢١٢ .

(٢) ٢٦٦ .

(٣) ٨٨ .

(٤) الكشح : الخَصْر . والاهضم والهضيم : الضامر .

(٥) العسيب : الجريدة من النخل استقامت ودقت وكُشِط خُوصها . وسرارة يلملم : خير مواضع ملهم وأكرمها . وملهم : جنة نخيل كانت في اليمامة وتردد ذكرها في الشعر الجاهلي .

وقد عده ابن حبيب في المعجان الاشراف(١) .

ونستذكر في طيىء عبد عمرو بن عَمّار الطائي(٢) الخطيب الشاعر كما ذكر الجاحظ والمرزباني ، او البليغ كما وصفه ابن سعيد في نشوة الطرب . وفي قاتله خلاف بين العلماء . وهو الذي رثاه ابو قُرْدودة الطائي ، ومن رثائه :

إني نَهَيتُ ابنَ عَمّارٍ فقلتُ له : لا تَقْرَبَنْ أحمرَ العينين والشَّعَرَهْ
إن الملوكَ متى تنزلْ بساحتِهم تَطِرْ بثوبِكَ من نيرانهم شَرَرَهْ

وفي رواية البيت الثاني اقوال كثيرة .

ونستذكر في عامر عبد عمرو بن شُرَيح بن الأحوص(٣) ، وهو من الشعراء الذين ازورّوا عن المنافرة المشهورة بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة ، فقال :

أحَمَى الله وَقْبَنا وما ارتحَلا به من النَّبْوةِ الباقي عليهم وبالُها
الا إنما تُرمى صَفاةٌ متينةٌ ابى الضيم اعلاها واثبت حالُها

ونستذكر في كاب بكر بن وائل الكابي الذي « كان اسمه عبد عمرو فسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكرًا(٤) .

---

(١) المحبر ٣٠٤ .

(٢) انظر : أسماء المغتالين ٢٢١ (نوادر المخطوطات) ، والبيان والتبيين ١ : ٣٦٢ ، والاغاني ٢٣ : ٥٤٠ ، والاشتقاق ٣٩٥ ، ومعجم الشعراء ، ونشوة الطرب ٦٣٢ ، وبهجة المجالس ١ : ٣٤١ . وقد ورد في معجم الشعراء : عمرو بن عمار .

(٣) الاغاني ٢٣ : ٢١٩ . وانظر قول مروان بن سراقة ٢١٨ :

وعبد عمرو منع القشاما في يوم فخر معلما اعلاما

والقشام : الجماعة من الناس . والمُعْلِم : الفارس يعارض الفرسان ويضع علامة في المعركة تحديا .

(٤) الاصابة ١ : ١٦١ (ترجمة ٧٢٣) .

فاذا كان عبد عمرو علما شائعا في العصر الجاهلي ، واذا كان العلماء يستدلون بما عُبّد من الاعلام الجاهلية على ارباب الجاهليين كعبد شمس وعبداللات وعبد وَدّ وعبد العزّى وعبد مناف وعبد يغوث وعبد الشارق ، فهل لي أن افترض أن عمرا ربٌّ من الارباب ؟

لا احتاج الى عناء كبير كي ادفع عن نفسي هذا الافتراض السليم لأسباب :

اولها : انه ليس بين ايدينا — بل ليس بين يدي — ما يثبت وجود ربّ مخصوص من ارباب الجاهليين اسمه عمرو . فقد سمّوا ما سمّوا ، ورضيت من التسمية بالإياب كما يقول الشاعر الجاهلي .

وثانيها : انه قد تمّ القسم بعَمْر في القرآن الكريم ، فمحال ان يكون القسم بربّ مخصوص غير الله في القرآن الكريم .

وثالثها : ان عَمْراً قد وردت مضافة في الشعر الجاهلي . وهذه الاضافة تبعد — ولا تنفي — أن يكون عمرو علما ؛ لان الاصل في الاضافة ان تجيء للتعريف او للتخصيص ، ولست عمرو — اذا كانت علما — معوزة اليهما . اما انها لا تنفي فلان الاعلام قد تضاف في احوال لا مجال لذكرها الان ، فقد اضاف عمرو ابن قميئة مثلا (وَدّاً) الى كاف المخاطبة فقال(١) :

بودّكِ ما قَوْمي على ان تَرَكْتِهِمْ سُلَيْمى إذا عَبَّتْ شَمالٌ وريحُها

وَوَدّ اسم احد ارباب الجاهليين كما تعرف .

يمكن أن تكون عَمْر في عبد عمرو بمعنى (رَبّ) ولا يمكن ان يكون معناها العُمْر — بضم العين — كما قال علماؤنا .

---

(١) الديوان ٢٣ .

ولكن يشغب على هذا الإمكان امران :

اولهمـــا : أن اسم عمرو من اسماء الرجال في الجاهلية والاسلام ، وهو علم يفوق عبد عمرو عددا . فانّى لعمر ان تكون بمعنى ربّ وان تكون علما من اعلام الرجال ؟

وثانيها : ان القرآن الكريم لم يورد العَمْرُ من اسماء الله عز وجل . وهذا الاعتراض مشاكه الاعتراض على راي ابن الشجري في (قِعْدَكَ ان لا تفعل كذا) و (قعيدَكَ ان لا تقوم) و (قِعْدَكَ اللهَ) و (قَعيدَك اللهَ) إذ قال : « معنى القِعْد والقَعيد:الرقيب الحفيظ من قوله تعالى* عن اليمين وعن الشِّمال قَعيد*(١) اي رقيب حفيظ . فقِعْدٌ وقَعيدٌ في هذا القول كخِلٍّ وخَليلٍ وندٍّ ونَديدٍ ونِسْبَةٌ وشبيه . فاذا كان كذلك فهما من صفات القديم سبحانه وتعالى فهو الرقيب الحفيظ . فاذا قلت : قِعْدَكَ الله وقعيدك الله على هذا المعنى نصبت اســـم الله على البدل »(٢) .

ويمكن الرد على الاعتراض الاول بالقول : ان كلمة (رَبٍّ) قد اتت في العربية دالة على رب معبود وعلى انسان كما نرى مثلا في قوله تعالى* قال لا يأتيكما طعامٌ ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبلَ انْ يأتيكما ذلكما مما علّمني ربّي إنّي تركتُ ملّةَ قومٍ لا يؤمنونَ باللهِ وهم بالآخرةِ هم كافرون*(٣) وبعد هذه الآية الكريمة بأربع آيات قال تعالى* وقالَ للذي ظَنّ انه ناجٍ منهما اذكرْني عند ربّكَ فأنساهُ الشيطانُ ذِكْرَ ربّه فلبثَ في السّجْنِ بِضْعَ سنين*(٤) .

---

(١) ق ١٧ .

(٢) الامـالي الشجرية ١ : ٣٥٣ .

(٣) يوســف ٣٧ .

(٤) يوســف ٤٢ .

وقال النابغـــة الذبياني(١) :

تَخُـــبُّ الى النعمانِ حتى تَنَالَـــهُ فِدًى لكَ من رَبٍّ طَرِيفي وتَالِدِي(٢)

فقد وردت (رَبّ) في الآية الاولى لله المعبود ، ووردت في الثانية للانسان ، ووردت في بيت النابغة للانسان ايضا . وهذه مسألة منكشفة لا يحتاج التلبّث معها .

والاشتراك في الاسماء بين المعبود والعابد قائم في الجاهليـــة والاسلام . الا ترى الى الجاهليين قد تسمّوا بقَيْس وهُبَل وتسمّوا بعبد قيس وعبد هبل ، وقيس وهبل من اربابهم ؟ ثم الا ترى الى المسلمين قد تسمّوا بمجيد وعبد المجيد ، بل الا ترى الى الخليفـــة العباسي موسى ابن الخليفة المهدي كيف تلقب بالهادي ، فغلب الاسم وشاع اللقب .

ويمكن الرد على الاعتراض الثاني بالقول : لقد فرّق القرآن الكريم بين صفات الله وصفات الخلق بإدخال (ال) التعريف على صفات الله وحذفها في صفات الخَلْق ، فالله هو العزيز الجبار الرحمن الرحيم اما الانسان فعزيز وجبار ورحمان ورحيم .

وهذه الصفات المخصوصة لله تعالى هي أسماء له عزّ وعلا اما الصفات المرادفة لها التي لم يرد فيها نص فليست من اسمائه : فكلمة (خالد) مثلا تعني باقيا دائما(٣) ، فالباقي هو الله ، والدائم هو الله ، والخالد ليست من اسماء الله على الرغم من ان معناها الباقي الدائم .

واذا كان يمكن ان تعني عَمْر في عبد عمرو رَبّا ، فان هذا الاستعمال يتعلق بصفة مرتبطة بالزمان . فهل يمكن ان ترتبط بالمكان اي ان معنى بيتا محورا ؟

---

(١) الديـــوان ١٤٠ .

(٢) الطريـــف : المال الجديد المكتســـب ، والتالـــد : المال الموروث من الاباء .

(٣) المحيـــط ـــ مادة خلـــد .

يمكن ان نفترض هذا الافتراض ؛ لان بعض الجاهليين يسمون عبد الكعبة(١) ، وبذلك لا يكون عبد عمرو عبداً لرب بل عبداً لبيت ربّ .

ويعترض هذا الافتراض امران :

اولهمـــا : ان عمرا قد جاءت في عبد عَمْرو بفتح العين ، واذا كانت بمعنى البيت تجيء بضمها كما ذكر اصحاب المعاجم .

وثانيهما : ان عَمْراً قد جاءت نكرة ، ولو صح هذا الافتراض لجاءت عَبْد عمرو عبد العَمْر او عبد العُمْر .

ويمكن ان يرد على الاعتراض الاول بأن ورود عُمْر بضم العين للدلالة على المكان لا ينفي جواز فتح العين كبيت وَوَكْر وبَحْر ، وغيرها كثـــير .

٤

عَمْر مضافة الى ضمير في الشعر الجاهلي

ترد عَمْر في الشعر الجاهلي مضافة الى ضمير المتكلم كقول النابغة(٢):

لَعَمْري لَنِعْمَ الحَيُّ صُبِّحَ بِسُرْبَنا وابياتَنـــا يومـــاً بذاتِ المُراودِ

---

(١) كعبد الكعبـــة بن عبد المطلب . انظر نشوة الطرب ٣٣٤ .

(٢) الديوان ١٢٨ والمفضليات ص ٣٤ ؛ وديوان امرىء القيس ١١٢ ، ١١٣ ، ٢٠٩ ، وديوان الحطيئة ٨ ، ٢٤ ، ٢٤٧ ، ٣٢٠ ، ٣٣٢ ، وديوان الاعشى ١٤٩ ، وديوان اوس بن حجر ١١٨ ، وديوان قيس بن الخطيم ١٢٧ ، وديوان المتلمس ٢٣٥ ، وديوان عروة بن الورد ٩٥ ، والمفضليات (شعر متمم بن نويرة) ٢٦٥ ، ٢٧٢ و (شعر عبد المسيح بن عسلة العبدي) ٣٠٤ ، وديوان الهذليين (شعر ابي ذؤيب ١ : ١٤١ ، وشعراء النصرانية (شعر الحارث بن عباد) ٢٧٢ و (شعر كعب بن سعد الغنوي) ٧٤٦ ، ٧٤٩ .

وترد مضافة الى ضمير المخاطب او المخاطبين كقول زهير بن ابي سلمى(١) :

لَعَمْرُكَ والخطوبُ مُغِيَّراتٌ وفي طُولِ المعاشرةِ التقالي

وكقول هُنَيّ بن احمر الشَّمّري(٢) :

هذا لَعَمرُكُمُ الصَّغارُ بعَيْنِهِ لا أُمَّ لي إن كانَ ذاكَ ولا أبُ

ولم اجد فيما استقريت من نصوص إضافتها الى ضمائر الغائب . وما أدري إن كان الجاهليون لا يضيفونها الى الغائب او ان هذا نقص في الاستقراء . واجدني مع الطرف الاول أميل؛ لانني قد استقريت جُلّ دواوين الشعراء الجاهليين فلم اجد فيها اضافة عمر الى الغائب !

وتلفت في القسم بعَمْر في هذا الموضع عدة امور :

اولهـــا : ان الشاعر الجاهلي يقسم بعَمْر ـ في الغالب ـ فيما يهمّ من الامور ، وهذا يفرض او يستتبع جلال المقسم به . وقد نص النابغة الذبياني ان عَمْره غير هيّن عليه حيث قال(٣) :

---

(١) الديوان ٢٤٢ وانظر ص ٣٦١ وديوان امرىء القيس ١١٢ ، وديوان الاعشى ١٥ ، ٦٥ ، ٨٣ ، ٢٦١ ، وديوان بشر بن أبي خازم ١١٥ ، ١٢١ ، وديوان طرفة بن العبد ٥٣ ، ٦٤ (المعلقة) ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ٢٢٨ ، وديوان عبيد بن الابرص ٥٤ ، ٧٨ ، وديوان الحطيئة ٦٢ ، ٦٨ ، ١٠٩ ، ١١٧ ، وديوان اوس بن حجر ١٦ ، ٢٢ ، ٤٩ ، ٦١ ، وديوان عمرو بن قميئة ٦ ، وديوان المادرة ٢٠٠ وديوان النابغة ١١٢ ، والمفضليات (شعر افنون التغلبي) ٢٦١ و (شعر الحارث بن ظالم) ٢١٥ ، و (شعر الحارث بن ظالم) ٢١٥ وديوان الهذليين (شعر ابي ذؤيب الهذلي) ١ : ٣٥ ، ٩٢ و (شعر ساعدة بن جؤية) ٢ : ٢١٨ ، و (شعر ابي خراش الهذلي) ٢ : ١٧١ ، و (شعر صخر الغي) ٢ : ٦٢ و (شعر المتنخل الهذلي) ٢ : ٢٩ ، وشعراء النصرانية (شعر افنون التغلبي) ١٦٣ ، ١٦٤ و (شعر ابن الاسبع العدواني) ٦٣٧ و (شعر الحصين بن الحمام المري) ٧٤٢ .

(٢) نشوة الطرب ٣٨٣ .

(٣) الديـــوان ٣٤ .

لَعَمْري ، وما عَمْري عليّ بهيّنٍ لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليَّ الاقارعُ

وما إخال أنّ عُمْر الشاعر — اذا اخذنا راي العلماء — الذي يكثر الشعراء الجاهليون من التفدّي به وبعمر آبائهم وأجدادهم — فدتك نفسي ، وفداك ابي وجدّي — من القسم العظيم .

فأحرِ بهذا القسم ان يكون بربٍّ الشاعر غير الهيّن عليه . ؟؟

وثانيهما : ان القسم بعُمْر يكثر في الحكمة المرتبطة بالموت وطوارق الايام وحدثانها ، كقول ابي ذؤيب الهذلي(١) :

امِنْ المَنُونِ ورَيْبِها تتوجّعُ والدهرُ ليس بمعتبٍ من يجزعُ

اعمرُكَ والمنايا غالباتٌ لكلِّ بني ابٍ منهـا ذَنُوبُ(٢)

وكقول طرفة بن العبد(٣) :

اعمرُكَ ان الموت ما اخطأ الفتـى

لكا لطُّوَلِ المُرْخَى وثِنْياهُ باليَـدِ(٤)

فأخلقْ بهذا القسم ان يكون بربّ يملك الموت والحياة من ان يكون بالعُمْر ، الا اذا جاء القسم بالعُمْر قُبالة الموت من قبيل نعي الذات او من قبيل الطباق الساخر .

وثالثها : ان القسم بعُمْر يأتي أونًا في معرض الهجاء وان ضمير الخطاب يرتد الى المهجو كقول الاعشى في هجاء الحارث بن وَعْلَة بن مُجالد الرقاشي :(٥) .

---

(١) ديوان الهذليين ١ : ٩٢ . وقد ورد صدر البيت عند شاعرين هذليين آخرين هما ابو خراش وجاء العجز عنده * على الانسان تطلع كلّ نَجْدِ * (ديوان الهذليين ٢ : ١٧١) ، وصخر الغي وانى العجز عنده * وما تُغْنى التميماتُ الحِماما * (ديوان الهذليين ٢ : ٦٢) .

(٢) الذنوب : الدلو المملوءة .

(٣) من المعلقة .

(٤) الطول : الحبل تربط به الدابة احد طرفيه في الوتد وثانيه في يدها .

(٥) الديوان ٦٨ .

لعمرُكَ ما اشْبَهْتَ وَعْلَةَ في النَّدى

شمائلَـــهُ ولا ابـــاهُ المُجالِـــدا

فكيف يستقيم أن يتسم الاعشى بعُمْر من يهجو ؟

ورابعها : ان عدم اضافة عَمْر الى ضمير الغائب فيما استقريت من نصوص جاهلية يبعد ان تعني عَمْر العُمْر ويدني (رَبّاً) ؛ فضمير الغائب قد يعود في العربية الى الله ضمنا ، كقولنا : نحمده ونشكره فنفهم ضمنا ان الضمير يعود الى الله ، وكالاسماء عَبْده ، ومَحْمده وعِزّه ؛ فكأن الشاعر الجاهلي قد خشي من ان يلتبس ضمير الغائب اذا قال : (لعَمْرُه) بين الغائب المعبود والغائب العابد .

وهذا تعليل يحتاج الى تمحيص !

عَمْر بضافة الى اسم غير لفظ الجلالة

وترد عَمْر في الشعر الجاهلي مسبوقة باللام ومضافة الى اسم : الاب (لعمر ابيك) عند زهـــير بن ابي سُلمى(١) وعبيد بن الأبرص بن خُفاف(٢) والنمر بن تَوْلَب(٣) وقبيصـــة بن النصراني(٤) .

والجد (لَعَمْرُ جَدِّكَ) عند الاعشى(٥) ؛ والعَلَم (لَعَمْرُ ابي عمرو) عند صَخْر الغَيّ(٦) واسم مغرّف (لعَمْرُ الباكيات) عند الحُصَين بن الحمام(٧) .

---

(١) الديوان ٢٠٩ .

(٢) المفضليـات ٣٨٦ .

(٣) شـــعره ٣٣ .

(٤) شعراء النصرانيـة ٩٦ .

(٥) الديـــوان ٢٣٣ .

(٦) ديوان الهذليين ٢ : ٥١ .

(٧) شعراء النصرانيـة ٧٤١ .

والطير (لعَمْرُ أبي الطّير) عند ابي خِراش الهُذَلي(١) ، والقَدَرَ (لعَمْرُ ما قَدَرَ) عند اوس بن حَجَر(٢) .

وتلفت في القسم بعمر في هذا الموضع عدة امور :

اولها : القسم بعَمْر الأموات في قول صخر الغَيّ الهذلي :

لعَمْرُ ابي عمرو لقد ساقهُ المَنَا الى جَدَثٍ يُوزى له بالأهاضب

واجر بهذا القسم أن يكون بربّ ابي عمرو وليس الى عُمر ابي عمرو .

وثانيها : القسم بالطير في قول ابي خِراش الهذلي :

لعَمْرُ ابي الطّير المُرِبّةِ بالضُّحى على خالدٍ لقد وَقَعْنَ على لَحْمِ(٣)

فهذا القسم يدفع اي علاقة بين عَمْرو والعُمْر ، فلا يقبل ان يقسم ابو خراش بعمر ابي الطير التي اقامت على جدث خالد تنوش لحمه . قد يقال : وماذا في ذلك ؟ الا ترى الى الشاعر الجاهلي يتغنى بالطير التي تسقط على القتلى ؟ بل الا ترى الى النابغة الذبياني كيف جعل الطير فوق جيش الحارث الجفنيّ تحاق عصائبَ إثر عصائب ، وكيف جعلها من الضّاريات الدوارب بالدماء ، فقال(٤) :

ذا ما غَزوا بالجيش حلّق فَوْقَهُمْ عصائبُ طَيْرٍ تَهْتَدي بعصائب

بُصاحِبَتِهِم حتى يُغِرْنَ مُغارَهُمْ من الضّارياتِ بالدماءِ الدّوارب

---

(١) ديوان الهذليين ٢ : ١٥٤ .

(٢) الديوان ١٠٦ .

(٣) المربة : الملازمة للحالين والوقوع .

(٤) الديوان ٢ ٤ — ٤٣ .

فأقول : شتان ما هما ، فالنابغة يتحدث عن طير تقرض لحم اعداء ممدوحه وابو خراش يتحدث عن طير تربّ على لحم ابن عمه ، فهذا يمدح وذاك يرثي . واذ ان ابا خراش يحلف بعُمْر ابي الطير لحار رثاؤه تشفيا وليس حزنا وتحسرا .

وثالثها : القسم بالقدر في قول اوس بن حجر :

لَعَمْرُ ما قَدَرٍ اجدى بمَعْذَرَةٍ
لقد أُخَلَّ بعرضي أيَّ اخلال

فقد اضاف اوس (عَمْراً) الى القدر . فأيّ قسم بعُمْر القدر اذا اخذنا برأي علمائنا ؟ وهل انتقل العرب في العصر الجاهلي من القسم بعُمْر الانسان الى القسم بعُمْر الزمان ، فأضافوا زمانا الى زمان ؟

لا إخال إلا أن صخر الغَيّ الهذلي قد اقسم بربّ ابي عمرو صاحب الآجال ، والا ان ابا خراش قد اقسم بربّ ابي الطير — وما ادري اذا كان ابو خراش الوثني يعتقد أن للطير ربا مخصوصا — وكذلك لا اعتقد الا ان اوس بن حجر قد اقسم بربّ القدر وليس بعُمْر القدر .

عَمْر مضافة الى اسم الجلالة

وترد عَمْر مضافة الى اسم الجلالة تصريحاً او كناية غير متصلة باللام ، كقول عروة بن الورد(١) :

فَعيدَكِ عَمْرُ اللهِ هل تعلمينني كريماً اذا اسوَدَّ الاثيلُ أزمرا

او متصلة بها ، كقول الاعشى(٢) :

نلعَمْرَ من جَعَلَ الشهورَ علامةً تَدَراً مبيّنَ سنّهنّا وهلالَهنّا

(١) الديوان ٦٤ .
(٢) الديوان ٣١ .

وكقولـــه(١) :

انى لَعَمْرُ الذي خَطَّتْ مناسِمُها تَخْدِي وسيقَ اليه الباقرُ الفُيُلُ(٢)

وكقوله(٣) :

لَعَمْرُ الذي حَجَّتْ قريش قطينه لقد كِدْتَهم كَيْدَ امرىء غير مُسْنَد

وكقول الحطيئة(٤) :

انى لَعَمْرُ الذي يسري اكعبته عُظْمُ الحجيج لميقـــات يُوافيها

او متصلة بـــ (لا) كقول النابغة الذبياني(٥) :

فلا لَعَمْرُ الذي اثنى عليـــه ومـــا رَفَعَ الحجيج الى إلالِ(٦)

او متصلة باللام ولا ، كقول النابغة ايضا(٧) :

فلا لَعَمْرُ الذي مسَّحْت كعبتَهُ وما هُريقَ على الانصابِ من جَسَدِ

او متصلة باللام و (ها) ، كقول زهير بن ابي سلمى(٨) :

تَعَلَّمْـــها لَعَمْرُ الله ذا قسما فاقصِدْ بِذَرْعِكَ فانظر اين تَنْسِلِكُ

روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قولَ الرجل

---

(١) الديـــوان ٦٣ .

(٢) المناســـم : جمع المنســـم : وهو طرف خف البعير . وتخدي : من الوخد ، وهو خطو الابل الواسع السريع . والباقر : قطيع البقر . والفيل : الممتلئات السمان.

(٣) الديـــوان ١٩١ .

(٤) الديـــوان ٣٠٢ .

(٥) الديـــوان ١٩١ .

(٦) الال : قال هو جبل عرفة .

(٧) الديـــوان ٢٥ .

(٨) الديـــوان ١٨٠ .

في القسم : لَعَمْرُ اللهِ(١) . وعلّل الزَّبيدي هذا بقوله : لان المُراد بالعَمْر عمارة البدن بالحياة فهو دون البقاء وهذا لا يليق بالله جلّ شانه وتعالى علواً كبيراً(٢) .

واعترف ان عَمْراً هنا لا يمكن ان تكون بمعنى (ربّ) ، وهو المعنى الذي جاز فيما سبق من الاساليب ؛ ولا يمكن ان تكون بمعنى العُمْر .

واتحول في هذا الموضع الى معنى قد سبقته قبل ، وهو (بيت) ؛ فيكون القسم بعَمْرِ الله قسما ببيت الله .

ويعزز هذا المعنى كثرة الحديث عن الحج في هذا الموضع ، كما راينا في ابيات الاعشى والحطيئة والنابغة الذبياني .

عَمْرَكَ اللهَ

هذا اسلوب قد مخضه النحويون مخضاً شديداً ، ونظروا في نصب عَمْر في عَمْرُك ، ونصب لفظ الجلالة ، ولهم في ذلك آراء قد اجملها ابن الشجري في اماليه .

واستميح القارىء عذراً اذا اقتبست نصاً طويلاً لابي علي القارسي من امالي ابن الشجري ، فهذا المقتبس يظهر مبلغ العمق في حمل عَمْر بمعنى تعمير .

« وقال ابو علي : عَمْرَكَ اللهَ مصدر استعملوه بحذف الزوائد . . . واصله بالزيادة تَعْمِيرَكَ اللهَ . الا ترى ان الفعل لما ظهر دل على فَعَلْتُ في قولك * عَمَّرْتُكِ اللهَ الا ما ذَكَرْتِ لنا *(٣) والاصل فيه : (عَمَّرْتُكِ اللهَ

(١) البخاري ، ايمان ١٣ .

(٢) تاج العروس — مادة عمر .

(٣) للاخوص ، وعجزه * هل كنت جارتنا ايام ذي سلم * انظر شعر الاخوص ١٥٠ . وهو من شواهد سيبويه ، وورد منسوبا الى الاخوص في امالي ابن الشجري ١ : ٣٤٩ ، وجاء في المقتضب ٢ : ٣٢٩ من غير نسبة .

تعميراً مثل تعميرِكَ اياه نفسَكِ) ، أي : سألتُ الله تعميرَكِ مثلَ سؤالِكِ اياه تعميرَ نَفْسِكِ . فالتعمير الاول مضاف الى الفاعل يعني الكاف . قال : الاسمان الآخران مفعول بهما يعني إياهُ نَفْسَكِ . قال : ثم اختصر هذا الكلام ، وحذفت زوائد المصدر »(١) .

وقد احسّ ابن الشجريّ استغلاق راي ابي علي ، فقال شارحا اياه : « ويجب أن نرجع قليلا ما اقوله في تفسير قول ابي علي ، وذلك ان الاصل كما ذكر (عَمَّرْتُكِ اللهَ تعميراً مثل تَعْمِيرِكِ اياهُ نَفْسَكِ) فحذفوا الفعل والفاعل والمفعولين ، فبقي (تَعْمِيراً مثل تَعْمِيرِكِ اياهُ نَفْسَكِ) ، ثم حذفوا الموصوف الذي هو (تعميرا) وقامت صفته التي هي (مثل) مقامه ، فبقي (تَعْمِيرَكَ اياهُ نَفْسَكِ) ، ثم حذفوا زوائد المصدر ، فبقي (عَمْرَكِ اياهُ نَفْسَكِ) ، فوضع الظاهر في موضع المضمر ، اعني وضعوا لفظة (الله) موضع (اياه) ، فصار (عَمْرَكِ اللهَ نَفْسَكِ) ، فحذفوا المفعول الثاني ، فبقي (عَمْرَكِ اللهَ) »(٢) .

وقد كفاني النحويون انفسهم مؤونة الاستدلال على ان عَمْرٌ في هذا الموضع تعني (رَبّاً) ، وذلك في شاهد ذكر السيوطي انه لِلُؤْبَالِ بن جُهْم الدُّجَيْجيّ او لابِشْر بن الأَبْيَل الغَزاريّ(٣) ، وهو :

لـــم تعلمـــي يا عَمْرَكِ اللهَ انني
كريـــمٌ على حينِ الكـــرامُ قليلُ
وانّيَ لا أُخْزَى اذا قيـــل مُمْلِـــقٌ
سَخِيٌّ وأُخْزَى ان يُقالَ بَخيـــلُ

---

(١) ١ : ٣٥٠ .

(٢) ١ : ٣٥٠ .

(٣) شرح شواهد المغني ٨٨٤ .

والشاهد عند النحويين في (حين) الظرف المبهم عندما يضاف الى جملة اسمية ، وليس في (يا عَمْرَكِ اللهَ) التي يظهر فيها حرف النداء قبل (عمرك الله) .

ولذا أجدني محتاجا الى تقدير (يا) قبل (عَمْرَكَ اللهَ) في قول المرقش الاصغر(١) :

فَعَمْرَكَ اللهَ هل تَدْري اذا
ما لُمْتَ في حُبِّها غير ملوم

فالله عز وعلا هو ربّ ساحبة مَوْبال وربّ صاحب المرقش ، والكلام نداء معترض جاء مفيدا الدعاء .

وخلاصة القول ان عَمْراً في الشعر الجاهلي تدل على (بيت) اذا اضيفت الى ضمير او الى اسم غير لفظ الجلالة او جاءت في اسلوب (عَمْرَك الله) ، وتدل على (بيت) اذا اضيفت الى اسم الجلالة اسما او كنايسة .

---

(١) المفضليات ٢٤٦ .

المصـــادر والمراجـــع

- اسماء المغتالين لابن حبيب (نوادر المخطوطات ٦) ، تحقيق عبدالسلام هارون ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

- الاشتقاق لابن دريد ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٧٩م .

- الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨م .

- الاغاني لابي الفرج الاصبهاني ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٧م .

- الامالي الشجرية لابن الشجري ، دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٣٤٩هـ .

- بهجة المجالس وانس المجالس لابن عبد البر ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ؟

- البيان والتبيين الجاحظ ، تحقيق حسن السندوبي ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

- تاج العروس الزبيدي ، دار ليبيا ، بنغازي ، ؟

- تفسير التبيان الطوسي ، دار الاندلس ، بيروت ، ؟

- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للقمّي النيسابوري (على هامش جامع البيان) ، بولاق ، ١٣٢٧هـ .

- التفسير الكبير للفخر الرازي ، المطبعة البهية ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ .

- جامع البيان في تفسير القرآن للطبري ، بولاق ، ١٣٢٨هـ .

- جواهر الحسان في تفسير القرآن للطوسي ، مؤسسة الاعلمي ، بيروت ، ؟

— خزانة الادب ولب لباب لسان العرب للبغدادي ، تحقيق عبدالسلام هارون ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

— ديوان الاحوص الانصاري ، جمع عادل سليمان جمال وتحقيقه ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

— ديوان الاعشى الكبير ، شرح محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٥ ، ١٩٥٠م .

— ديوان امرىء القيس ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

— ديوان اوس بن حجر ، تحقيق محمد يوسف نجم ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ، ١٩٦٠م .

— ديوان بشر بن ابي خازم ، تحقيق عزة حسن ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ، ١٩٧٢م .

— ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكري والسجستاني ، تحقيق نعمان امين طه ، البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٥٨م .

— ديوان زهير بن ابي سلمى ، صنعة ثعلب ، دار الكتب المصرية ، ١٩٤٤م .

— ديوان سلامة بن جندل ، رواية الاصمعي وابي عمرو الشيباني ، المكتبة العربية ، حلب ، ١٩٦٨م .

— ديوان عروة بن الورد ، شرح ابن السكيت ، تحقيق عبدالمعين الملوحي ، وزارة الثقافة ، دمشق ، ١٩٦٦م .

— ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق ناصر الدين الاسد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٧م .

— ديوان شعر الحادرة ، تحقيق ناصرالدين الاسد ، مجلة معهد المخطوطات ، المجلد ١٥ ، ١٩٦٩م .

— ديوان شعر المتلمس الضبعي ، رواية الاثرم وابي عبيدة عن الاصمعي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

— ديوان شعر المثقب العبدي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٧١م .

— ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق علي الجندي ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ، ١٩٥٨ م .

— ديوان عبيد بن الابرص ، تحقيق حسين نصار ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

— ديوان عمرو بن قميئة ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

— ديوان عنترة ، تحقيق محمد سعيد مولوي ، المكتب الاسلامي ، ١٩٧٠م .

— ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق احسان عباس ، وزارة الارشاد ، الكويت ، ١٩٦٢م .

— ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

— ديوان الهذليين ، الدار القومية ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

— شرح شواهد المغني للسيوطي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ؟ ؟

ـ شرح المفصل لابن يعيش ، المطبعة المنيرية ، القاهرة ، ؟

ـ شعر تابط شرا ، صنعة سلمان داود الطره غولي وجبار تمبل جاسم ، مطبعة الآداب ، النجف ، ١٩٧٣م .

ـ شعر عبدة بن الطبيب ، صنعة يحيى الجبوري ، دار التربية ، بغداد ، ١٩٧١م .

ـ شعر عمرو بن معديكرب الزبيدي ، جمع مطاع الطرابيشي وتحقيقه ، دمشق ، ١٩٧٤م .

ـ شعر النمر بن تولب ، صنعة نوري حمودي القيسي ـ الطراد ، بغداد ، ؟

ـ شعراء النصرانية قبل الاسلام للويس شيخو ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٦٧م .

ـ الصحاح للجوهري ، تحقيق احمد عبدالغفور عطار ، دار الكتب العربي ، القاهرة ، ١٩٥٦م .

ـ صحيح البخاري بحاشية السندي ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ؟

ـ القاموس المحيط للفيروز آبادي ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٥٢م .

ـ الكتاب لسيبويه ، بولاق ، ١٣١٦هـ .

ـ الكشاف للزمخشري ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ؟

ـ لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٩٥٥م .

ـ مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٣٠٨هـ .

ـ المحبر لابن حبيب ، تحقيق ايلزه ليختن ستيتـر ، دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٩٤٢م .

ـ معجم الشعراء للمرزباني ، تحقيق عبدالستار احمد فراج ، البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٦١م .

ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٦م .

ـ المفضليات المفضل الضبي ، تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٢م .

ـ المقتضب المبرد ، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، القاهرة ، ١٣٨٦هـ .

ـ المنمق في اخبار قريش لابن حبيب ، تحقيق خورشيد احمد فاروق ، دار المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، ١٩٦٤م .

ـ نسب قريش المصعب الزبيري ، تحقيق ليفي بروفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٢م .

ـ نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الاندلسي ، تحقيق نصرت عبدالرحمن ، مكتبة الاقصى ، عمان ، ١٩٨١م .